النقد السوسيولوجي لرواية "عشر صلوات للجسد" لوفاء عبد الرزاق

Sociological critique of (Ashar salawat lljased) the novel by Wafa AbdulRazzaq.

آمنه احمدی (طالبة ماجستير في جامعة خليج فارس، بوشهر، ايران)

د. علی خضری (أستاذ مشارك في جامعة خليج فارس، بوشهر، ايران)

الكاتب المسئول: alikhezri@pgu.ac.ir

د. محمدجواد پورعابد (أستاذ مشارك في جامعة خليج فارس، بوشهر، ايران)

تاريخ الإرسال	تاريخ القبول	تاريخ النشر
2022-08-02	2023-05-17	2023-12-04

الملخّص

إنّ الرواية، تصور لنا قصه طويلة ضمن القالب النثري الذي يفصح عن تجربة انسانية مرفقة بخيال الكاتبة و تصوراتها حول الحياة، إلى جانب ذلك، يظهر لنا مفهوم علم الاجتماع الأدبي؛ باعتباره أحد الاتجّاهات النقدية الّتي بلغ ذروته في القرن العشرين بواسطة المنظّرين البارزين في هذا المجال، وبناء على آرائهم؛ فإنّ هيكل الآثار الأدبية مع البنية الذهينة للمجموعات الاجتماعية تتمّ داخل المجتمع. من هذا المنطلق، تعدّ رواية "عشر صلوات للجسد" للكاتبة والشاعرة العراقية المعروفة "وفاء عبدالرزاق"؛ إحدى الروايات الواقعية الّتي تدرس البنية الاجتماعية للمجتمع العراقي في القرن العشرين.

تتطرّق هذه الدراسة من خلال المنهج الوصفي_التحليلي إلى دراسة ونقد اجتماعي لرواية "عشر صلوات للجسد" للكاتبة "وفاء عبدالرزاق"؛ وتهدف في الواقع إلى تبيين ظروف النساء ووضعهنّ في المجتمع الإسلامي؛ خاصّة العراق. نشهد في هذه الرواية، انعكاس القضايا الاجتماعية مثل الفقر والفاقة، الظلم والاضطهاد في المجتمع العراقي ومسألة الزواج والطلاق مرات عديدة. يظهر لنا من خلال نتائج البحث أنّ وفاء عبدالرزاق من خلال إشارتها إلى الإشكاليات النفسية والاجتماعية للنساء في المجتمع العراقي، ووضع النساء المطلّقات، والهوية، والإيذاءات الجنسية والنفسية ضدّ النساء وسائر الاضطرابات الاجتماعية والثقافية، قد قدّمت صورة واضحة المعالم للحوادث وأجواء البيئة الاجتماعية والسياسية في البلاد.

الكلمات المفتاحية: الرواية، النقد الاجتماعي، وفاء عبدالرزاق، رواية "عشر صلوات للجسد".

Abstract:

The novel is a long story in the form of prose that expresses human expresses along with the author s imagination of life. In addition, the concept of sociology of literature is one of the critical approaches that reached its peak in the twentieth century with the ideas of prominent theorists, according to them the structure of literary works is formed by the mental structure of social groups with in society.

In this regard, one of the realist novels that checking the social structure of Iraq society in the twentieth century. (Ashar salawat lljased) the novel written by Wafa AbdulRazzaq is a famous Iraq poet and novelist. This research uses a descriptive analytical method to study and critique the sociology of (Ashar salawat lljased) the novel written by Wafa AbdulRezzaq and in fact its purpose is to explain the situation of women in Islamic societies, especially in Iraq. In this time, social issues such as poverty, oppression in Iraq society, the issues of marriag and divorce have been reflected many times. Research findings show that wafa AbdulRazzaq, reference to the psychological and social harms of women in Iraq society, the status of divorced women, identity, physical and mental abuse against women and other social and cultural disorders are clear images of events and characteristics of the social environment and shows the politics of Iraq.

Key words: sociological critique, Wafa AbdulRazzaq, Novel "Ashar salawat lljasad".

1. المقدّمة

يعدّ "علم الاجتماع الأدبي"، باعتباره أحدث فرع -متعدد التخصصات-، وواسع النطاق؛ من أكثر فروع العلوم الإنسانية تعقيداً وربّما متعة؛ وهو علم يمتاز بخصائص مميّزة. يرجع أهمّ سمة من سماته إلى طبيعة الأدب، وبما أنّ العلم يسعى للعثور على الحقيقة، والأدب بدوره أيضاً يجتهد في طريق إعادة تكوين الحقائق، وبذلك يُفسح المجال لاسترجاع جزء من الحقيقة المهملة.

الأدب يُمكّننا من «الاستيعاب الأفضل من خلال التصوير الإبداعي وذلك عن طريق إعادة خلق الواقع».[i]«يعدّ علم اجتماع الأدب من أكثر الموضوعات والنظريات الأساسية تعقيداً؛ لأنّ الموضوعات الفلسفية والأيديولوجية والعقائدية والاجتماعية المختلفة تجتمع معاً في هذا النوع من البحث».[ii] تتأثر الرواية في عالم اليوم-أكثر من أي عمل أدبي آخر-، بظروف المجتمع الحالي؛ لذا يمكن أن تعكس البنية الاجتماعية بشكل أفضل مقارنة بالأعمال الأدبية الأخرى. يتطرّق النقد السوسيولوجي للرواية إلى كيفية خوض الكاتب في مسائل المجتمع، وعلاقته الضعيفة أو القوية مع الظروف والأحداث الّتي يعاني منها المجتمع. إنّ وفاء عبدالرزاق؛ روائية عراقية معروفة، فقد اعتمدت على الرؤية الواقعية للتعبير عن حقائق المجتمع العراقي. وكان همّها السعي للعدالة والحرية سواء في الدين أو المجتمع. رواية "عشر صلوات للجسد" هي رواية اجتماعية-دينية تنتقد فيها القهر والطغيان في جميع أنحاء العالم وترى بأنّ الحكام العرب من الأسباب الرئيسة

للاضطهاد في البلاد.من هذا المنطلق، سوف نتطرّق إلى مكونات علم الاجتماع في رواية "عشر صلوات للجسد" وذلك من خلال اعتماد المنهج الوصفي-التحليلي.

1-1. خلفية البحث

هناك دراسات موجزة وأحياناً مبسوطة حول النقد الاجتماعي للقصص العربية، ولكن حتّى الأن، لم تتمّ دراسة حول النقد الاجتماعي في رواية "عشر صلوات للجسد"؛ للكاتبة "وفاء عبدالرزاق". أمّا الموضوعات الّتي تمّ كتابتها في هذه المجالات، فهي:

1) عذرا بقائي (1393ش): تطرّقت في رسالتها للماجستير الّتي تحمل عنوان "**جامعهشناسی ادبیات در داستانهای کوتاه لیلی محمد صالح**" (علم اجتماع الأدب في القصص القصيرة ليلي محمد صالح) إلى المسائل والمشاكل الاجتماعية في قصص ليلي محمد صالح الاجتماعية. تناولت الكاتبة، الأفكار والعادات والتقاليد والظروف السياسية والاجتماعية في الكويت، وهي مسائل تصوّرها القصة على ضوء نظرية جورج لوك.

2) مرمزي، أميره (1394ش): تمّ كتابة رسالة الماجستير المعنونة بـ "بررسی رمانهای وفاء عبدالرزاق مطالعة موردی «حاموت» و «اقصی الجنون»"(دراسة في روايات وفاء عبدالرزاق؛ رواية "حاموت" ورواية "أقصى الجنون" أنموذجاً)، بإشراف الدكتور علي نظري في جامعة لرستان. تتطرّق هذه الرسالة إلى أنّ وفاء عبدالرزاق من جملة الأدباء الّذين كتبت في مجال الرواية أيضاً، علاوة على أعمالها الشعرية في مجال النثر والكتابة. في هذه الدراسة، تمّ الخوض في رواية "أقصى الجنون الفراغ يهذي" ورواية"حاموت"، من بين رواياتها الأخرى الّتي انعكست فيها الأحداث السياسية والاجتماعية والثقافية و... في الفترتين من التاريخ العراقي. إنّ رواية "أقصى الجنون الفراغ يهذي"، تتحدّث حول العصر الّذي حكم فيه صدّام حسين. في هذه الدراسة، من بين روايات وفاء عبد الرزاق، وقع الاختيار على رواية "أقصى الجنون الفرج يزدي" و "حموط" ، التي انعكست فيها أحداث سياسية واجتماعية وثقافية وغيرها لفترتين من التاريخ العراقي. إنّ الرواية تتناول الجوانب السياسية والاجتماعية والاقتصادية للحصار الاقتصادي على العراق. تتطرّق المؤلّفة في رواية "حاموت" إلى الفترة التي تلت الغزو الأمريكي ضدّ لعراق وتتحدث عن الخصائص السياسية والاجتماعية للمجتمع العراقي ونتائج الحرب.

1-2. منهج البحث

تقوم الدراسة على ضوء المنهج الوصفي-التحليلي وعلى أساس المصادر الكتابية الموجودة في هذا المجال.

1-3. أهميّة الدراسة

استعانت وفاء عبد الرزاق من خلال تأليف رواية "عشر صلوات للجسد" بفن السرد القصصي في خدمة المجتمع وخلقت موضوعاً اجتماعياً ونفسياً للنقد الاجتماعي وتفاعلت هذه الرواية مع المجتمع؛ بحيث دفع الباحث إلى دراسة النقد الاجتماعي وتطرّق إلى القضايا الاجتماعية والسياسية في الرواية.

4-1. أسئلة البحث

1) ما هي أبرز المسائل والحقائق الاجتماعية في رواية "عشر صلوات للجسد"؟

2) كيف تطرّقت وفاء عبدالرزاق إلى الحقائق المرتبطة بالمجتمع العراقي من خلال خلقها لرواية "عشر صلوات للجسد"؟

3) ما هي الأساليب الّتي تمّ توظيفها من قِبل الكاتبة لدراسة الموضوعات الاجتماعية للنساء في هذه الرواية؟

2. علم الاجتماع الأدبي

كان الأدب -على مرّ العصور- أداة رخيصة ومتاحة للبشر للتعرف على العالم المتميّز من الداخل والخارج، والرواية بدورها تعدّ نوعاً من التنظير الاجتماعي. من هذا المنطلق، وبما أنّ الشعر، القصة، الرواية وسائر الأنماط الأدبية تدخل ضمن العناصر الّتي يُمكننا أن نفتن من خلالها إلى ثقافة النّاس على مرّ العصور، فإنّ مراجعة الأعمال الأدبية تتيح لنا المجال لفتح آفاق جديدة حول الأفكار والروئ الاجتماعية، التحولات السياسية-الاقتصادية ومستوى البصيرة، العلم والأخلاق في المجتمع والبيئة الّتي أنتج فيها المؤلّفون للآثار والأعمال الأدبية، فإذن؛ إنّ الأدب يعدّ صدى للآداب والسلوك وأخلاقيات العصر الّذي يعيش فيه الكاتب. إنّ الأعمال الأدبية هي نتيجة تفاعل ثلاث فئات من العوامل: البيولوجية، الثقافية والتأريخية، تظهر لنا العوامل البيولوجية في العرق، والعامل الثقافي في البيئة وأمّا العامل التأريخي فيظهر لنا من خلال الزمن.[iii]

علم الاجتماع الأدبي، باعتباره من العلوم المتعددة الفروع، يتطرّق إلى الذروة في العلوم الأدبية الّتي ترتبط نوعاً ما بعلم اللغة والفلسفة من جهة، وتجمع بينهما علاقة وثيقة بعلمي الاجتماع والتأريخ من جهة أخرى؛ بحيث تعدّ الفلسفة وعلم الجمالية من الأعمدة الأساسية لعلم الاجتماع الأدبي. من هذا المنطلق، يعدّ الأدب، مؤسسة اجتماعية؛ باعتبار أنّ اللغة تُمثّل جوهره الأساسي. إنّ الكاتب نفسه أيضاً يعدّ ضمن أفراد المجتمع؛ فهو ينتمي إلى طبقة اجتماعية محددة بأميال اجتماعية خاصة؛ فإنّ إنتاجه يصوّر لنا الحياة، وإنّ الحياة أيضاً هي بنفسها ظاهرة اجتماعية. وإنّ مسألة العلاقة القائمة بين الرواية والمجتمع، مسألة أثارها النقاد وركّزوا عليها منذ ولادة هذا النمط الأدبي. أمّا المهمّ في هذا المجال، فهو أنّ الرواية تُمثّل المجتمع. تعدّ الرواية من أفضل القوالب والأنماط لانعكاس ضلال البطل في البيئات الضالة والمغتربة.[iv]

3. الرواية العربية المعاصرة

كان سرد القصص متداولاً بين الأمم المختلفة في العالم على مرّ العصور البعيدة. قد عكف المهرة من الكتّاب على الخوض في الكثير من المسائل التعليمية، التربوية، الأخلاقية والاجتماعية على شكل قصص قصيرة وطويلة، وكتبوا الكثير في العصور

المختلفة بحريةكاملة وأحياناً على الرغم من التقشّف السياسي الشديد. لقد أبدعوا روائع قصصية بكلمات جميلة وجمل معبرة، وجلبوا معان جديدة وصادقة؛ بحيث انّ هذه الأعمال توغّلت في النفوس لدرجة أنها تمكنت من البقاء على قيد الحياة على رغم مرور الزمن والحفاظ عليها في الصدور. «إنّ القصة عبارة عن إعادة صياغة لأحداث ووقائع تبدو حقيقية، وهي لا تعدّ القصة، تكراراً للواقع والحقيقة. إنّ القصة هي نتاج خيال يتم تمثيله في العالم الحقيقي؛ فإنّ "القصة" أو "الحكاية"؛ تُطلق على النثر الّذي ينقل رواية خيالية، وهي تشتمل على أنواع الرواية، القصة القصيرة، والقصص السنمائية والصورية. يتمّ اعتماد النصوص الكبيرة في القصص المعاصرة أيضاً. أمّا "الرواية" أو القصة الطويلة الّتي يُطلق عليها في اللغة الإنجليزية "Novel"؛ فهي نصّ لرواية وقصة تُكتب ضمن القالب النثري. وفي القرن الثامن عشر، كان يتمّ توظيف كلمة "الرواية" غالباً للإشارة إلى القصص القصيرة حول الحبّ والمؤامرة.[v]

4. نظريات النقد الاجتماعي للرواية

ظهرت النظريات الأخلاقية حول الأدب منذ العصر اليوناني القديم وتحديداً في آراء أفلاطون، ومع ظهور المدرسة الرومانسية، مهّدت الطريق لظهور النظريات الاجتماعية المرتبطة بالأدب في بدايات القرن التاسع عشر للميلاد في أروبا.[vi] بعد تكوين النظريات الاجتماعية وتطويرها، انفرد علم الاجتماع شيئاً فشيئاً كعلم مستقل عن سياقه الفلسفي وسرعان ما اندمج مع العلوم الأخرى. إنّ هذا الاتجاه الذي يعدّ من الظواهر المهمة بعد عصر النهضة، يرجع وجوده إلى الوعي والمعرفة حول وجود القانون في الحياة الاجتماعية. علاوة على ذلك، أدى التقدّم في العلوم التجريبية إلى زيادة الاهتمام بمناهج البحث في علم الاجتماع، بعبارة أخرى، إنّ التطورات الاجتماعية العظيمة والمهمة التي نتجت عن الثورة الصناعية، والتي كانت بحد ذاتها من الظواهر الّتي نشأت بعد النهضة والثورة العلمية، مهّدت الطريق إلى التحوّل في جميع المبادي وأسس الأنظمة الاجتماعية القديمة.

على ضوء مثل هذه الأفكار، ظهرت الشرارات الأولى للنقد الاجتماعي وذلك في آراء مجموعة من النقاد، أمثال: مادام دوستال (1766م-1818م) وهيبوليت تن (1828م-1893م) وبعض الفلاسفة مثل: كارل ماركس (1883م-1818م)، وفردريك انجلس (1895م-1820م) وأصبح يُوظّف اليوم كأحد أساليب النقد الأدبي على رغم أنّ مادام دوستال ترى من الأدب، نتاجاً لفكر الأديب وعبقريته في الدرجة الأولى، إلّا أنّها تعترف صراحةً بتأثيره على النظم الاجتماعية. فهي ترى في مقدّمة أحد أعمالها بعنوان "الأدب في علاقته بالنظم الاجتماعية"، عند تحليلها وتبيينها لتأثير النظم الاجتماعية في آداب الملل بأنّ التشابه في النظم الاجتماعية هو المصدر الأساس للعديد من أوجه التشابه بين آداب الملل المختلفة.[vii]

إنّ "تِن" أيضاً يعزو في نظريته الشهيرة، الخصائص الفنية لكلّ شعب إلى ثلاثة عوامل رئيسة، هي: العرق، البيئة والحضارة. ويرى بأنّ عامل العرق يشتمل على الخصائص الجسمية، الروحية والنفسية ويمكن له أن يلعب دوراً أكثر فاعلية مقارنة مع العاملين الآخرين في الإبداعات الأدبية عند كلّ شعب. أمّا العامل الثاني فهو العامل البيئي الّذي يشمل الخصائص المناخية، الظروف السياسية والاجتماعية والدينية. والعامل الثالث هو إنجازات الأمم في مجال الفكر، الثقافة والعلم؛ الإنجازات الّتي تحوّلت إلى ميراث حضاري عند الأمم وستلعب دوراً مؤثّراً لدى الأجيال القادمة.[viii] يعدّان "أرنولد كتل"

و"إيان واد" من الروّاد في مجال دراسة العلاقة القائمة بين الرواية والتحوّلات الاجتماعية. إنّهما يعتقدان بأنّ الرواية قد حقّقت نموّاً وتطوّراً حقيقياً عندما أدرك البشر فكرة "المجتمع"، وبالتالي: لعب وصف صورة المجتمع في روايات القرن التاسع عشر، دوراً أساسياً وبارزاً في هذا المجال. يرى "ميشائيل بورتو" بدوره أيضاً أنّ الرواية تُثير الوعي والتفكير في حقائق العالم، وهي تتجاوز مجرّد انعكاس حقائق المجتمع البسيطة.[ix]

5. دراسة مكوّنات علم الاجتماع الأدبي في رواية "عشر صلوات للجسد" لوفاء عبدالرزاق

إنّ النقد الاجتماعي للأدب أو علم الاجتماع الأدبي أحد فروع علم الاجتماع الفنّي الّذي يتطرّق إلى دراسة البنية الاجتماعية ووظائف الأدب الاجتماعية والعلاقة بين المجتمع والأدب والقوانين المسيطرة عليها.[x] يركّز هذا النوع من النقد -أساساً- على العوامل الخارجية في إبداع العمل الأدبي؛ لأنّه يعتقد بأنّه يجب اختبار الإنسان والمؤسسات والنظم الاجتماعية بعناية تامّة ودراستها بصورة علمية؛ وذلك من أجل فهم المعتقدات، الفنون، اللغة والآداب والتقاليد. بما أنّ الإنسان يعيش في المجتمع، وينشأ ويترعرع في الأسرة متأثّراً بميراث الحضارات والثقافة، ويقبل أعرافها؛ وإنّ الأدب مثله مثل علم الاجتماع، يتعامل غالباً مع المجال الاجتماعي، تكيّف الإنسان معه، وأحلامه وتطلّعاته في سبيل التحوّل.[xi] من هذا المنطلق، يُقال: إنّ الأدب، يُعبّر عن المجتمع ويعكس الحالة الراهنة للمجتمع في كلّ عصر من العصور؛ كما أنّ هناك من يرى بأنّ الأدب نسخة من الحياة، ويعتبرونه على مستوى وثيقة اجتماعية وصور فرضية للواقع الاجتماعي، ويعتقدون أنّه يمكن الحصول على نقاط عامّة حول تأريخ المجتمع من الأدب واعتباره كوثيقة اجتماعية.[xii]

5-1. الانزواء والعزلة

الانزواء لغة بمعنى الوحدة، الجلوس في العزلة والانعزال عن النّاس. المنعزل هو الشخص الذي يبتعد عن الناس ويختار العزلة وبالتالي يكيف نفسه مع البيئة؛ بالطبع، مع الأخذ بعين الاعتبار أنّ أي نوع من الانزواء والوحدة لا يعتبر عزلة. يحب الإنسان أحياناً أن يترك لمفرده لمعرفة الذات ويتطرّق لحلّ مشاكل الحياة. يمكن اعتبار العزلة حالة ذهنية؛ عندما يخاف المرء ويخشى من مواجهة النّاس والمجتمع. في مثل هذه الحالات، إذا لم يتم معالجة العزلة في الوقت المناسب، يمكن أن تتسبّب في حالة نفسية شديدة وبروز الاكتئاب. قد لا يتمكن الشخص من التفاعل مع الآخرين لأسباب مختلفة، بما في ذلك: الخوف من ردود الفعل، مثل: التعرض للهجوم، التجاهل أو تعرّضه للسخرية مِن قِبل الآخرين.[xiii]

«عِشتُ الغُربتين، غُربةَ البلد، وغُربة الرُّوح، أحاوِلُ الوقوفَ على حُدودي كي لا أسقطَ من علٍ»[xiv]

تعدّ مسألة العزلة والوحدة في المجتمعات الرجولية، من أكثر القضايا شيوعاً بين النساء. تعاني النساء من الاكتئاب الحاد بسبب الظروف الثقافية غير المواتية، وقلة استيعابهم من قِبل العائلة والأصدقاء، والمستقبل المجهول، وبالتالي: يفضلن في النهاية قضاء أيامهن بمفردهن في العزلة. ومن الأمثلة الواضحة على هذا النوع من العزلة في رواية وفاء عبد الرزاق، يُمكن أن نشير إلى أنّ المرأة قد اتّجهت نحو العزلة بسبب الظروف غير المواتية وطردها من المجتمع.

وفي نموذج آخر، تُقرّ الكاتبة في قولها:

«وبقينا، كما بقيتُ أنا مِن سُلالتكَ المضيئة، نقطة انطلاق كلّ جميلٍ يجهله رجلٌ متعجرف، أنّي له أن يعرف خرير الماء من خلال دخان سجائره، أنّي له أن يدرك أرحامنا الضاجّة بالحياة والولادة»[xv]

وفي هذا الموضع أيضاً، تُشير وفاء عبدالرزاق إلى وحدة المرأة وانعزالها، وتُصرّح قائلة بأنّ "الرجل الطنان" هو المسؤل والمجرم الرئيسي لهذه المسألة في المجتمع، فإنّه هو الّذي يحوّل النقطة المضيئة في حياة المرأة إلى بقعة مظلمة سوداء. ترى وفاء عبدالرزاق بأنّ "الرجل" في المجتمع الرجولي لا يقدر على تمييز الماء النقيّ من دخان السجائر الكثيفة، فإنّه يرى كلّ ذلك بهيأة ولون ورائحة واحدة. بالطبع يُمكن أن ندّعي بأنّ صفة "الرجل" هذه، علامة على قلّة عاطفته ومشاعره وعدم استيعابه بالنسبة إلى جمال الطبيعة وحياة النساء.

5-2. الزواج والطلاق

يعدّ الزواج بمثابة حلقة الوصل بين الجنسين المختلفين؛ بشريطة وجود عقد اجتماعي لإضفاء الشرعية على العلاقات الجسدية.[xvi]

إذا لم يتمّ الاهتمام بها جيّداً. إنّ مسألة الزواج ومن جهة أخرى؛ الطلاق، من أهمّ القضايا في الدراسات الاجتماعية، وهي مسألة قد أكّد عليها لوسيان جولدمان أيضاً، ونظراً إلى أنّ رواية "عشر صلوات للجسد"؛ هي عمل مرتبط بموضوع الحبّ والزواج، فقد أشار المؤلف بشكل خفي إلى أزمات هاتين المسألتين، أي: إلى أيّ مدى يُمكن أن يكون ذلك مهمّاً في العلاقات القائمة بين النّاس في المجتمع:

في الصفحة 39 من القصة: يرسم الراوي صورة لحياة زوجين، كان الزوج يُعامل زوجته كخادمة:

«تعلمين زوجي مصري الجنسية، وأنا مغربية، أعيش في بيت أخي بعد وفاة الوالدين، وافقت دون أدنى ترد على نصيبي، كان مطلقا وله أربعة أولاد ذكور جئت معه إلى لندن، مع أولاده، كنت أتوقع أنني زوجة، لكن اتضح أني مربية لأولاده، وخادمة له، سليط اللسان، غليظ القلب، أو قولي بلا قلب، لأنه منعني من الإنجاب مدعيا أن له أربعة أولاد، ولا يريد آخر، حرمني من الأمومة، ومن أنوثتي وإنسانيتي، حتى أولاده تطبعوا بطباعه، معهم حق لأنه لم يترك لي حرمة أمامهم، تحمل رائحة الثوم المتعبين في فمه، وعرقه حين يغتصب أنوثتي، جسدي ينتهكه ثعبان أرقط، أو ثور. كان يمزقني كما لو أنني كره يلعب بها كيفما يشاء، الموت الحي، هكذا كانت أيامي، في لعنة الموت الحي»[xvii]

لا يحقّ للمرأة أن تختار زوجها بنفسها في المجتمعات التقليدية؛ وذلك يرجع إلى الثقافة الرجولية السائدة آنذاك؛ ففي معظم الحالات، كان يختار الأب أو الأخ، الزوج الذي يتماشى مع المجتمع والعادات. في هذا الجانب، بما أنّ المرأة قد فقدت والديها وهي طفلة ولم يكن لها الولي والمعيل المناسب؛ فإنّها ترعرعت عند شقيقها وهي تُرغم على الزواج من رجل طلق زوجته وله أربعة أبناء، وهي مازالت صغيرة. إنّ الكاتبة قد أبرزت شخصية الرجل المصري وأظهرت ثقافته؛ وذلك لنقد الثقافة العربية التقليدية والاضطهاد الّتي عانت منها النساء من خلال قبولهم لمثل هذا الزواج.

يُشير الراوي في قسم آخر من القصّة إلى موضوع الطلاق الحكومي في بريطانيا ومسألة الطلاق عند "بربارة":

«كل هذا، وعينا "بربارة" الزرقاوان مصانتان بالقانون، لو أخبرت الشرطة سينال حقه من العقاب، لكن ليس من السهل الطلاق الحكومي في بريطانيا، إذ يمر بمراحل من الرضا بواسطة جهات مختصة بذلك، وقد يأخذ سنوات، ضجها الأولاد، بين الأم والأب، فلكل منهما أحقية برعايتهم في أيام معينة»[xviii]

تشير وفاء عبد الرزاق هنا إلى أنّ الطلاق والثقافات المناهضة للنساء لا تقتصر على الدول العربية في الشرق الأوسط، بل نجد مثل هذه المشاكل المتعلقة بحالات الطلاق والمصائب الخاصة الّتي تعاني منها النساء في الدول الاروبية الحديثة أيضاً.

«أنا زوجوني في الثالثة عشرة لرجل يكبرني أربعين سنة؛ ليتخلصوا من عبء معيشتي، جئ معه إلى لندن، كان متزوجا وله ثلاثة أبناء وابنة وأحفاد»[xix]

كما أنّ "هينار" أيضاً تروي لنا حول زواج الصغار من البنات وهذا التقليد المذموم، وكيف أنّها أرغمت من الزواج في الثالث عشر من عمرها برجل أكبر منها نحو 40 عاماً، وفي ذلك كان أيضاً تكاليف العيش.

إنّها وبعد الزواج مع مثل هذا الرجل؛ اضطرّت للانتقال إلى لندن والعيش هناك. لم تُدرك هينار متعة الطفولة فحسب، بل كانت محرومة من الشعور باللذة النسوية وامتلاكها لزوج مناسب وشاب؛ وذلك بسبب الفقر الّتي كانت تعاني منه.

5-3. أزمة الهوية

استخدم عالم النفس الأمريكي إريك إريسكون مصطلح "أزمة الهوية" لأوّل مرّة. إنّه ومن خلال الحرب العالمية الثانية؛ لاحظ مجموعة من الجنود الأمريكيين الذين لم يتمكنوا من التوفيق بين أنشطتهم ومواقفهم كجنود وأنشطتهم ومواقفهم السابقة كمواطنين. وظّف إريكسون مصطلح "اضطراب الهوية" لوصف هذا الموقف، إلى جانب اعتماده مصطلح أزمة الهوية.[xx]

يصف إريكسون الهوية -كمصطلح- من منظور إحساس داخلي عام يمثل تياراً من التغييرات الفردية والاحتياجات الاجتماعية للمستقبل. ويرى أنّ تكوين الهويّة مشتملة على ظهور إحساس ذاتي ووحدة في الشخصية الّتي يشعر بها المرء ويستوعبها الآخرون، وهي تتشابه من زمن إلى آخر.[xxi]

تعدّ "أزمة الهوية" من العوامل الاجتماعية السلبية ولها تداعيات سلبية أيضاً. أمّا تداعيات هذه الإشكالية الاجتماعية فهي تتمثّل في: أزمة الإدمان، الطلاق، الإجرام، وجميع أنواع الانحرافات الاجتماعية؛ وبالتالي يفقد الشخص، سيطرته الداخلية ونظام الضبط الخارجي (الاجتماعي)، ويعاني الشخص بنوع من الشذوذ والبُعد عن القانون أو حتّى عدم الانقياد للقوانين والأصول.[xxii] تحدث بعض الإشكاليات، مثل: هجرة الأدمغة، البطالة، والتربية والتعليم؛ لأنّها تهزّ الشخص داخلياً وتغمره باللامبالاة والخمول، الوهن وتسيطر عليه العزلة، ويلجأ إلى الهجرة وينزعج حتّى من البيئة؛ كونها محلّ جديد يواجه فيها الفرد ببعض العقبات ويضطرب أمنه النفسي. إنّ نتيجة هذه المسيرة المرتفعة، سير الإنسان ومعالجته على صورة الاغتراب عن نفسه وعالمه الخارج عن دائرة النفس، ممّا يمهّد الأرضية لخلق أزمة في الهوية.

5-3-1. الهويّة الاجتماعية

يعدّ البُعد الاجتماعي من أهمّ أبعاد الهوية؛ أي البُعد الّذي يتمتّع بالهيمنة والتأثير على الأبعاد الأخرى للهوية. في الواقع، ترتبط الهويّة بجميع تجليّاتها بالهوية الاجتماعية؛ سواء بشكل مباشر أو غيرمباشر. يشير هذا النوع من الهوية إلى الأساليب التي يتم بها تمييز الأفراد والجماعات عن المجموعات الأخرى في علاقاتهم الاجتماعية، ويشير إلى التأسيس والتمييز المنهجي لأوجه التشابه والاختلاف بين الأفراد والمجموعات.[xxiii] في الواقع، إنّ الهوية الاجتماعية هي فهمنا لمن نحن ومن هم الآخرون؟ ومن ناحية أخرى، كيف يرى الآخرون أنفسهم والآخرين (بما في ذلك أنفسنا)؟

هناك نقطتان مهمتان في مثل هذه التعريفات: أولاً: إنّ دور "التعريف" مهمّ للغاية في عملية إنشاء الهوية؛ أي كيف ومن أي منظور يتطرّق شخصان إلى تحديد هوية الآخر. ثانياً: لا تعدّ الهوية الاجتماعية أمراً ثابتاً لا يخضع إلى التغيير عند الأفراد، بعبارة أخرى: لا تنشأ من جوهر الأفراد وداخلهم، بل هي نتيجة لاتفاق أو خلاف جماعي؛ فدائماً ما يتمّ نقدها وتقييمها.[xxiv] تعدّ العزلة عن الآخرين والتوترات والاضطرابات الاجتماعية، وفقدان الهوية والتماهي في مواجهة الثقافة الأجنبية والموضة من أهمّ معايير الأزمات في مجال الهوية الاجتماعية.

تقدّم وفاء عبدالرزاق نماذج متعددة حول موضوع الاهتمام بالهوية العربية في رواية "عشر صلوات للجسد"، نذكر عدد منها في هذا الموضع:

«تساءل "بربارة" عن سبب وجود رأس الثور في قمة القيثارة، وحسب علمي أن شعب الرافدين حين يقمون القرابين للآلهة وخاصة اليران، كان يرافق عملية الذبح العزف على القيثارة لتهدئة الثور. لكن بعض الآراء تقول أن الثور كان مقلدا، لذلك تزين به تيجان الملوك»[xxv].

تعدّ مسألة "التقاليد" من الأدوات الّتي تدلّ على هوية البلد وشعبه، مثلما نشهده في وصف باربارا لعازفة جيتار تربط رأس بقرة بجيتارها؛ وكان ذلك علامة مقدسة بين النّاس في منطقة الرافدين. وكذلك إنّ وصف باربارا لعملية الذبح وعزف الجيتار بغية تهدئة الأبقار؛ يعكس لنا التقليد الوطني للبلاد؛ ممّا يُشير ذلك إلى الهوية الاجتماعية للمجتمع.

يُعرّف لنا الكاتب هويّته من خلال التوجّه إلى وطنه:

«ضاقت الدائرة عليَّ منذ أول يومٍ خرجتُ به وطني، وحُلمي المراهق يُقاد إلى سنواتٍ مهلمة، يلوك به التصحُّر الذئبيُّ بوحشيّة، فأسقط كمثل حجارةٍ من جبلٍ إلى قعر متحجِّر»[xxvi].

في قسم آخر من القصّة:

«تذكر حسرة قلبي حين زرت متحف اللوفر، إذ كانت مسلة (حمورابي) في الجناح الفارسي.. آثارنا يهتم بها الآخرون، ويحرصون على صيانتها وصونها من الرقة أكثر مما نحن العراقيين. إلى أية مرحلة وصل الفن السومري، والأكدي، والبابلي، والآشوري من الإتقان والجمال المبهر!!»[xxvii].

نلحظ في هذا الموضع بأنّ هذه المرأة الّتي قد فرّت من سيطرة الثقافات التقليدية السائدة في العراق وهاجرت إلى فرنسا، ترى معالم بلدها الأثرية عند زيارتها لمتحف لوور لقضاء أوقات فراغتها، وهناك تتحسّر جدّاً لوجود مثل هذه المعالم القيّمة في فرنسا والحفاظ عليها جيّداً هنا. وبعد ذلك تتابع حسرتها في أنّ جميع هذه الأشياء القيّمة هي في الواقع ميراث

أجدادها؛ فلم يعد يتمّ الاهتمام بها في العراق وقد اهتمّ بها الأجانب أكثر. من هذا المنطلق يجب أن نزعم بأنّ الكاتبة قد أشارت إلى الهوية الاجتماعية في هذا الموضع.

النتائج

يُمكن لنا نُشير إلى النتائج التالية من خلال بحثنا ونقدنا لرواية "عشر صلوات للجسد" الاجتماعية للكاتبة "وفاء عبدالرزاق" على ضوء علم الاجتماع الأدبي:

- يُقدّم لنا التحليل السوسيولوجي لمضمون رواية "عشر صلوات للجسد"، صورة واضحة المعالم حول الاتّجاهات الاجتماعية.

إنّ هذه الرواية الّتي تقوم بفهرسة الفترات والعقود المختلفة لحياة المؤلّف الأدبية وأمياله الفكرية وآراءه الاجتماعية وتجاربه الثقافة، تصوّر لنا صوراً بارزة حول الأحداث وخصائص العصر والهويّة التأريخية للبيئة الاجتماعية والسياسية في العراق. إنّ النضال من أجل العدالة والاستقلال القومي والتبشير الوطني قد أصاب البلدان المستعمرة على مدى واسع؛ الصورة الحيّة للمفارقات الاجتماعية وأزمة العزوف بالنسبة إلى الشعب العراقي.

- الإهانة بالنسبة إلى المبادئ وتقاليد التشفير الاجتماعي-التأريخي (المبادئ التقليدية والقديمة حول النساء وحقوقهنّ).

- تبيين الظروف الاستبدادية ودورة الاختناق وتوظيف لغة الرمز والإيحاء للتعبير عن قصتهم الاجتماعية، والانقسامات الاجتماعية الفاعلة والغير فاعلة، والطبقات والمفارقات والتناقضات الثقافية، والتعلّقات والانقسامات الإيديولوجية السياسية، الاقتصادية والثقافية.

المراجع والمصادر

- اکبری، بهمن(1387). **بحران هویت و هویت دینی**، پیک نور- علوم انسانی،6(ویژه فلسفه و معارف اسلامی3)، صص 219-231.

- بوتور، میشل (1379ش)، **جستارهای در باب رمان**، ترجمة سعید شهرتاش، تهران: نشر سروش

- ترابی، علی اکبر (1370ش)، **جامعهشناسی و ادبیات**، تهران، نوبل.

- جنکینز، ریچارد (1391ش)، **هویت اجتماعی**، ترجمة تورج یاراحمدی، تهران: انتشارات نشر و پژوهش شیرازه.

- دستغیب، عبدالعلی (1378ش)، **در آئینه نقد**، تهران: حوزة هنری سازمان تبلیغات اسلامی

- ساروخانی، باقر (1381ش)، جامعه‌شناسی خانواده، تهران: سروش.

- ستوده، هدایت‌الله (1378ش)، **جامعه‌شناسی در ادبیات فارسی**، تهران: انتشارات آوای نور.

- سراج خرمی، نجمه مریم حسینی نسب (1398ش)، «بررسی علل و عوامل گوشه‌گیری و ارائه راهکارهایی برای برطرف کردن آن در دبستان»، **مجله نخبگان علوم و مهندسی**، جلد 2، شماره 2، صص 10-1.

- طائی، علی (1378ش)، **بحران هویت قومی در ایران**، تهران: انتشارات شادگان

- عبدالرزاق، وفاء(2020م)، **عشرصلوات للجسد**، القاهره: الطبعة الأولی

- علایی، مشیت (1380ش)، «**نقد ادبی و جامعه شناسی**»، کتاب ماه ادبیات و فلسفه، سال چهارم، شماره 10 و 11.

- علیخانی، علی اکبر(1383ش)، **مبانی نظری هویت و بحران هویت**، تهران: انتشارات جهاد دانشگاهی.

- غنیمی هلال، محمد (2001م)، **الأدب المقارن**، ط3، قاهرة: نهضة مصر للطباعة و النشر و التوزیع.

- فاضلی، نعمت الله (1374ش)، **در آمدی بر جامعه‌شناسی هنر و ادبیات**، فصلنامه علوم اجتماعی دانشگاه علامه طباطبایی، شماره ۷و۸..

- فرجاد، محمدحسین(1359)، مقدمه ای بر جامعه شناسی و سیر تحول و تکامل جامعه،تهران، انتشارات بوعلی.

- مصباحی پور ایرانیان، جمشید (1358ش)، **واقعیت اجتماعی و جهان داستان**، جامعه شناسی هنر و ادبیات، تهران، مؤسسه انتشارات امیرکبیر.

- میرصادقی، جمال(1388ش)، **عناصر داستان**، چاپ ششم، تهران: انتشارات سخن

. - ولک، رنه (1373ش)، **نظریة ادبیات**، ترجمة پرویز مهاجر و ضیاء موحد محمدی، تهران: انتشارات علمی و فرهنگی.

- هاجری، حسین(1381ش)، **نمود مدرنیسم در رمان فارسی**، نشریه دانشکده ادبیات و علوم انسانی(تبریز)، شماره صد و هشتاد و پنج، صص 143- 167.

- یزدی،محمد تقی علوی (1382ش)، تعارض نقش ارزش‌ها در خانه و مدرسه و تاثیر آن بر شکل‌گیری هویت های ضد اجتماعی در نوجوانان ایران، فصلنامه مطالعات تربیتی و روانشناسی، دوره چهارم،صص 571-586.

[i]. علی اکبر ترابی ، جامعه شناسی و ادبیات: ص 79، ۳۵.

[ii]. نعمت اله فاضلی، درآمدی بر جامعه شناسی هنر و ادبیات: ص ۷۴، ۱۳۱.

[iii]- مشیت علایی، نقد ادبی و جامعه شناسی: ص 25-23.

[iv]- جمشید مصباحی پور ایرانیان، واقعیت های اجتماعی جهان و داستان، ص 17.

6- حسین هاجری،نمود مدرنیسم در رمان فارسی: ص 21.

7. عبدالهادی الفرطوسی، (2007م). تطور المناهج الإجتماعية في النقد الادبي، ص 1.

8. محمدحسین فرجاد، مقدمه‌اي بر جامعه‌شناسي و سير تحول و تكامل جامعه: صص 25-8.

9. محمد غنیمی هلال، الأدب المقارن: صص 53-51.

10. میشل بوتور، جستارهای در باب رمان: ص 56.

11. هدایت‌الله ستوده، جامعه‌شناسی در ادبیات فارسی: ص 56.

12. عبدالعلی دستغیب، در آئینة نقد: ص 78.

13. رنه ولك، نظرية ادبيات: ص 110.

[xiii]. نجمه سراج خرمی و مریم حسینی نسب، بررسی عوامل و عوامل گوشه‌گیری و ارائه راهکارهایی برای برطرف کردن آن در دبستان: ص 5.

[xiv]- عبدالرزاق، عشرصلوات للجسد: ص 23.

[xv]- وفاء عبدالرزاق، عشر الصلوات للجسد: ص 32.

[xvi]- باقر ساروخانی، جامعه شناسی خانواده: ص ۲۳.

[xvii]- عبدالرزاق، عشرصلوات للجسد: ص 39.

[xviii]- وفا عبدالرزاق،عشرصلوات للجسد: ص 41

[xix]- وفا عبدالرزاق،عشرصلوات للجسد: ص 62.

21- محمد تقی علوی یزدی، تعارض نقش ارزش‌ها در خانه و مدرسه و تاثیر آن بر شکل‌گیری هویت های ضد اجتماعی در نوجوانان ایران، فصلنامه مطالعات تربیتی و روانشناسی: ص 572.

22- علی اکبر علیخانی،مبانی نظری هویت و بحران هویت: ص 184

23-- اکبری بهمن، بحران هویت و هویت دینی: صص 219-231.

24. علی طائی، بحران هویت قومی در ایران: ص 62.

25.ریچارد جنکینز، هویت اجتماعی: صص 7-8.

[xxv]- وفاء عبدالرزاق، عشر صلوات للجسد: ص 68.

[xxvi]- وفاء عبدالرزاق، عشر صلوات للجسد: ص 23.

[xxvii]- وفاء عبدالرزاق، عشر صلوات للجسد: ص 70.